

{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } * { وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا } *
{ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } (1-3)

{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } على من عاداك وناوءك { وَالْفَتْحُ } قال يمان: فتح المدائن والقصور، وقال عامة المفسرين: فتح مكة، وكانت قصته على ما ذكره محمد بن إسحاق بن بشار والعلماء من أصحاب الأخبار: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريش عام الحديبية كان فيما أشترطوا أنه من أحب أن يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شرّ قديم، وكان السبب الذي هاج ما بين بكر وخزاعة أن رجلا من يلحضرمي يقال له مالك بن عماد خرج تاجراً، فلما توسّط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزين الديلي وهم من أشرف بكر فقتلوه بعرفة عند أنصاب الحرم، فبينا بكر وخزاعة على ذلك من الشر حجز بينهم الإسلام وتشاغل الناس به، فلما كان صلح الحديبية ووقعت تلك الهدنة أغتتمها بنو الديل من بني بكر من خزاعة وأرادوا أن يصيبوا منهم بأولئك النفر الذين أصابوا منهم بني الأسود بن رزين، فخرج نوفل بن معونة الديلي في بني الديل، وهو يومئذ قائدهم حتى بيّت خزاعة وهم على الوتير ماء لهم بأسفل مكة، فأصابوا منهم رجلا وتحاوروا واقتتلوا، ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً حتى جاوزوا خزاعة الى الحرم، وكان ممن أعان من قريش بني بكر على خزاعة ليلتين بأنفسهم مشتركين صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن

عمرو ومع عبيدهم قالوا: فلما أنتهوا الى الحرم قالت بنو بكر: يانوفل إنا دخلنا الحرم، إلهك الهك، فقال كلمة عظيمة: أنه لا إله اليوم [يا بني بكر] أصيبوا ثأكم فيه فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه.

فلما دخلت خزاعة مكة لجأوا الى دار بديل بن ورقاء الخزاعي ودار مولى لهم يقال له رافع، فلما تظاهرت قريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد لما أستحلّوا من خزاعة، وكانوا في عقدة، " **خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراي الناس فقال لهم: إني بايعت محمداً وذكر الأبيات كما ذكرها في سورة التوبة الى قوله:**

هم بيتونا بالوتير هجدا * فقتلونا ركعاً وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قد نصرت يا عمرو بن سالم " ، ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السماء فقال: " إن هذه السحابة لتستهلّ بنصر بني كعب " [وأمر رسول الله الناس بالجهاز وكنتمهم مخرجه] ."

وقد قال حسن: بلغه إسلام أم هاني بنت أبي طالب وأسمها هند:

أشأقتك هند أم ناك سؤاها كذاك النوى أسبابها وأنفتاها

القصيدة.

قال ابن إسحاق، وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف من بني غفار أربعمئة ومن أسلم أربعمئة ومن مزينة ألف ومن بني سلم سبعمئة ومن جهينة ألف وأربعمئة رجل وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس واسد.

قالوا: وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشر ليلة يقصر الصلاة، ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنين.

{ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا } زمراً وأرسالا القبيلة بأسرها، والقوم بأجمعهم من غير قتال.

قال الحسن: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض: أما إذ ظفر محمد بأهل الحرم وقد كان الله سبحانه أجارهم من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجاً، وقال عكرمة ومقاتل: أراد بالناس أهل اليمن، قال ابن عباس وأبو هريرة: " **لما نزلت هذه السورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الله أكبر جاء نصر الله والفتح "**

وجاء أهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم لينة طاعتهم الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن شبنه قال: حدّثنا محمد بن مصفر قال: حدّثنا بقيّة بن الوليد قال: حدّثنا الأوزاعي قال: حدّثنا شدّاد أبو عمار قال: حدّثني جابر قال: غدا جابر ليسلم عليّ فجعل يسألني عن حال الناس فجعلت أخبره نحواً مما رأيت من اختلافهم وفرقتهم فجعلت أخبره وهو يبكي فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " **أن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً وسيخرجون من دين الله أفواجاً** ".

{ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً } فإنك حينئذ لاحق به وذائق الموت كما ذاق من قبلك من الرسل، وعند الكمال يرتقب الزوال كما قيل.

إذا تم أمرٌ نقصه توقع زوالاً إذا قيل تم

وروى سعيد بن جبیر عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب كان يأذن لأهل بدر ويأذن لي معهم فقال عبد الرحمن بن عوف: أتأذن لهذا الفتى معنا ومن أبنائنا من هو مثله، فقال: إنه ممن قد علمتم، قال ابن عباس: فأذن لهم ذات يوم وأذن لي معهم فسألهم عن قول الله سبحانه: { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } الآية ولا أراه سألهم إلا من أجلي، فقال بعضهم: أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم إذا فتح عليه أن يستغفره ويتوب إليه، فسألني فقلت: ليس كذلك ولكن أخبر نبي الله صلى الله عليه وسلم بحضور أجله ونعيت إليه نفسه، فذلك علامة موته.

فقال عمر: ما أعلم منها إلا مثل ما تعلم، ثم قال: كيف تلوموني عليه بعد ما ترون.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن جعفر المطيري قال: حدثنا ابن فضل قال: حدثنا عطاء عن سعيد عن ابن عباس قال: لما نزلت { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } قال النبي صلى الله عليه وسلم: **" نعيث إلي نفسي "** بأنه مقبوض في تلك السنة، وقال مقاتل وقتادة: عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن جعفر قال: حدثنا علي بن حرب قال: حدثنا أبو عامر العقدي عن سفيان عن أبي إسحاق عن أبي عبدة عن عبد الله قال: لما نزلت { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } **" كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: " سبحانك اللهم وبحمدك أغفر لي إنك أنت التواب "**

وأخبرنا عبد الله قال: أخبرني مكي قال: حدثنا عبد الله بن هاشم قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق **" عن عائشة رضی الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل أن يموت: " سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك " فقلت: يا رسول الله ما هؤلاء الكلمات التي أراك قد أحدثتها بقولها؟ قال: " جعلتها علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها } إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ { " الى آخر السورة "**

وبه عن ابن هاشم قال: حدثنا عبد الله بن نمير قال: أخبرنا الأعمش عن مسلم وهو

ابن صبيح عن مسروق " عن عائشة رضى الله عنها وعن أبيها قالت: لما نزلت
{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } إلى آخرها ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم صلى
صلاة ألا قال: " سبحانك اللهم وبحمدك اللهم أغفر لي ".

وأخبرنا ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حمدان قال: حدّثنا إبراهيم بن سهلويه قال: حدّثنا
علي بن محمد الطنافسي قال: حدّثنا حفص بن غياث عن عاصم الأحول عن الشعبي
عن أم سلمة قالت: " كان النبي صلى الله عليه وسلم بآخره لا يقوم ولا يقعد ولا
يجيء ولا يذهب إلا قال: " سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه " فقلنا:
يارسول الله لا تقوم ولا تقعد ولا تجيء ولا تذهب إلا قلت: سبحان الله أستغفر الله
وأتوب إليه قال: " فإني أمرت بها " ثم قرأ { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } حتى
ختمها ".

وقال: مقاتل: " لما نزلت هذه الآية قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على
أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر وسعيد بن أبي العاص ففرحوا واستبشروا، وسمعها
العباس فبكى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " وما يبكيك يا عم " قال:
نعيت إليك نفسك قال: " إنه لكما تقول " فعاش بعدها سنتين ما رئي فيهما
ضاحكاً مستبشراً " ، وهذه السورة تسمى سورة التوديع.

أخبرنا ابن فنجويه قال: حدّثنا عبد الله بن يوسف قال: حدّثنا محمد بن عمران قال:
حدّثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب قال: حدّثنا إسحاق بن عبد الله بن كيسان

قال: حدّثني أبي عن عكرمة عن ابن عباس قال: " أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين فنزل عليه { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } السورة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا علي ويا فاطمة بنت محمد قد جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً سبحان ربي وبحمده وأستغفره أنه كان توباً ويا علي بن أبي طالب إنه يكون من بعدي في المؤمنين الجهاد " ، فقال علي: ما نجاهد المؤمنين الذين يقولون آمنا؟ قال: " على الإحداث في الدين إذا عملوا بالرأي، ولا رأي في الدين إنما الدين من الرب أمره ونهيه ."

فقال علي: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت إن عرض لنا أمر لم يبين الله فيه قرآناً ولم ينصّ فيه سنة منك؟ قال: " تجعلونه شورى بين العابدين ولا تقضون برأي خاصة ولو كنت مستخلفاً أحداً لم يكن أحد أحق منك لقدمك في الإسلام وقرابتك من رسول الله وصهرك وعندك فاطمة سيدة نساء المؤمنين، وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب إياي حين نزل القرآن فأنا حريص على أن أرعى ذلك في ولده ."

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا مكّي قال: حدّثنا أحمد بن منصور المروزي أبو صالح قال: حدّثني أحمد بن المصعب المروزي قال: حدّثنا عمر بن إبراهيم قال: حدّثنا عيسى ابن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده قال: " لما نزلت { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } جاء العباس الى علي رضي الله عنه فقال: أدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان هذا الأمر من بعده لنا لم تشاحنا عليه قريش، وإن كان للغير سألته الوصاة بنا، قال: سأفعل، قال: فدخل العباس على رسول

الله صلى الله عليه وسلم مسراً فذكر ذلك له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم " يا عباس يا عم رسول الله إن الله جعل أبا بكر خليفتي على دين الله سبحانه ووحيه فأسمعوا له تفلحوا وأطيعوه تُرشدوا "

قال ابن عباس: فقعوا والله فرشدوا.